

الأستاذ: قوراري السعيد.
اسم المادة: النص الأدبي القديم (شعر).
الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD
المحاضرة 10: الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات. الخوارج. الشيعة. السجون.. رثاء المدن..)
أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على الشعر السياسي في المشرق والمغرب.

مراحل الدرس:

- تمهد.
- نشأة الشعر السياسي.
- أولا : شعر الشيعة .
- ثانيا: شعر الخوارج .
- مكانة الشعر الخارجي في العصر الاموي.
- ثالثا: شعر الفتوحات.
- السمات الفنية في شعر الفتوحات.
- شعر السجون.
- رثاء المدن.
- رثاء المدن في المشرق.
- نماذج من شعر رثاء المدن

المحاضرة 10: الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات. الخوارج. الشيعة. السجون.. رثاء المدن..) الشعر السياسي

عُدَّ الشعرُ السياسيُّ على مدى الحياة الأدبية منصَّةً للتعريفِ بالحركات السياسية التي وُلدت في كلِّ عصر، من حيث أنَّ المؤثرات السياسية عامل رئيسٌ في تفتيق المَلَكات الأدبية، وقد تَضَمَّنَ هذا النوعُ من الشعر توجَّهاتٍ وآراءً سياسية تعبر عن مذهب الشاعر، أو تخدم الطرف السياسي الذي يناصره وينافح عنه ويحتج له ويشايغ أفكاره، مع حرصه على الجانب الفني للقصيدة وقيمتها الأدبية، وفي هذا المقال سيتم التحدُّث عن نشأة الشعر السياسي، وذكر أهم شعراء الشعر السياسي.

نشأة الشعر السياسي

يرى النقاد أنَّ الشعرَ الذي دافع عن القبيلة وسجَّل وقائع الحروب التي خاضتها العرب فيما بينها آنذاك نواة الشعر السياسي؛ إذ إن القبيلة كانت تمثل وحدةً سياسية منفردة بأرائها وأعرافها، وكانت تنبري ألسنة الشعراء لخدمة مصالح قبائلهم، وكان ذلك في فترة ما قبل عصر الإسلام، وقال آخرون إنَّ عصر صدر الإسلام هو مَنْ أوجد هذا الشعر؛ فقد عدَّوا الإسلام حركةً سياسية لها مناصرون ولها خصوم، لكن لم يتح لهذا الشعر أن يضرب جذوره في الأرض لقصر فترة صدر الإسلام.

في حين يرى آخرون أنه نشأ وليدًا للعصبيّة القبلية بين فخذين لقبيلة واحدة هما: بنو عبد المطلب وبنو أميّة، فقد ظهرت القصائد التي سجّلت المعارك التي دارت بين هذين الفريقين، والتي اتخذت طابعًا سياسيًا، ومن هذا الموضوع عدّهما النقاد طرفين سياسيين أنشأ هذا الأدب، والتي أوصلتهما الخلافات إلى حرب صفين وحادثة التحكيم، ما أدّى إلى بروز فئة سياسيّة ثالثة عُرفت بالخوارج، تلك التي خرجت على الإمام عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- ورفضت التحكيم، وقد خلّد التاريخ الأدبي والسياسي مساجلاتهم ومبارزاتهم الشعريّة، لذا فإنّ الرأي استقرّ على أنّ الشعر السياسي قد اكتملت أركانه في عصر بني أميّة.

وهذا النوع من الشعر السياسي الديني يمثل :

أولاً - شعر الشيعة

ان تاريخ الشيعة مليء بالثورات والانفاضات على الحكام الظالمين ، حيث اخذ الطغاة يراقبونهم سرا وعلنا مع العلم ان الشيعة لم يتراجعوا عن مبادئهم . لو تصفحنا كتب الادب العربي لراينا ان فنون الادب الشيعي قد ملئت بها وبالاخص الشعر السياسي الديني ؛ لانه ادب يلهب العاطفة ويهيجها نظرا لما مر في تاريخ الشيعة من ثورات ، خاصة واقعة صفين، حيث الدم اريق ، والحرمان انتهكت ، والبيوت سبيت ودمرت ، والاجساد صلبت . ونتيجة لهذا كله برز شعراء سياسيون امثال :السيد الحميري ، شاعر عاش في العصرين الاموي والعباسي ، توفي سنة 173هـ الكميث بن زيد. الفرزدق.

الكميث بن زيد الاسدي ، ت سنة 126هـ حيث كان شاعرا وخطيبا وحافظا للقرآن وفتيها وفارسا ، ويعتبر شعره ثروة كبيرة ، والذي بلغ 5289 بيتا «اذ قال عنه ابو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميث لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان». واشهر قصائده الهاشميات التي بلغت 563 بيتا . لقد احتوت قصائده الفخر والمدح والهجاء والرثاء والحماسة ، واشتهر بقصيدته البائية ومن المعها :

طربت وما شوقا الي البيض اطرب	ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
بني هاشم رهط النبي فأننبي	بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
فطائفة قد كفرتني بحبكم	وطائفة قالوا: مسيء ومذنب
وقالوا ترابي هواه ورايه	بذلك ادعى فيهم والقاب
فما لي الا آل احمد شيعنة	وما لي الا مذهب الحق مذهب
ومن غيرهم ارض لنفسي شيعة	ومن بعدهم لا من اجل وارحب
اريب رجالا منهم وتربيني	خلانق مما احدثوهن اريب
اليكم ذوي آل النبي تطلعت	نوازع من قلبي ظماء والبسب
فاني عن الامر الذي تكرهونه	بقولي وفعلي ما استطعت لاجنب

ينتقل شاعرنا ويخاطب الامويين بقوله: كيف ان دماء المسلمين محللة سفكها عندهم اضافة الى حرماننا من الغنائم كما وان الحقوق ايضا مغتصبة ، وقد جاء في قصيدته :

تحل دماء المسلمين لدهم	ويحرم طلع النخلة المتهدل
وليس لنا في الفياء حظ لديهم	وليس لنا في رحلة الناس ارحل
فيا رب هل الا بك النصر يرتجى	عليهم وهل الا عليك المعول
ومن عجب لم اقضه ان خيلهم	لاجوافها تحت العجاجة ازم
هما هم بالمستلثمين عوايس	كحدآن يوم الدجن تعلقو وتسفل
يحلنن عن ماء الفرات وظله	حسنا ولم يشهر عليهن منصل
كان حسينا والبهايل حوله	لاسيافهم ما يختلي المتبقل

أما الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة ، الملقب بالفرزدق لجهومة وجهه ولاثر اللجدي فيه ، ولد في سنة 20هـ بالبصرة ، من اسرة ذات جاه وكرم ، كان يتردد على البلاط الاموي ، بل كان مسؤولا في البلاط لسد ودفع التهمة؛ لان البعض يحتمل ذلك ، كما انه يحسب على الشيعة .

كان الفرزدق شاعرا غير ملتزم لكن في اواخر عمره وحياته قرر مصيره مع اهل البيت. قال ابن رشيق في كتابه العمدة في النقد الادبي: ابلغ وافصح بيت قيل بيت الفرزدق في وصف السجاد عليه السلام ، حيث يقول :

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

لقد اشتهر الفرزدق في قصيدته الميمية في حق الامام علي بن الحسين ، حيث وقف في تلك اللحظة وقال الحق مما يذكرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افضل كلمة حق عند سلطان جائر» ، حيث يروى ان هشام بن عبد الملك لم يتمكن ان يصل الى الحجر الاسود في موسم الحج من شدة الزحم ، وبما ان لباس الحجاج واحد وبدون تمييز بين الامير والفقير ، وفي هذه اللحظة وصل شاب نوراني انشقت له الصفوف ووصل الى الحجر ، فقال رجل لهشام: من هذا الذي فتح له الطريق بهذه الهيبة والاجلال ؟ فاجاب هشام: لا اعرفه وكان به عارفا فقال الفرزدق: انا اعرفه ، وانشد قصيدته المعروفة ، فغضب هشام وسجنه ، وقد بدأت قصيدته في مدح زين العابدين ، حيث يقول :

هذا الذي تعرف البطحاء* وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن فاطمة ان كنت بضائره بجده انبياء الله قد ختموا

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العلم

وليس قولك: من هذا ؟ بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هم

وقد اختلف رواة آخرون في افتتاحية هذه القصيدة حيث لم اعثر عليها في ديوانه والتي تبدأ :

يا ساتلي اين حل الجود والكرم عندي بيان اذا طلابه قدموا

هذا الذي احمد المختار والده صلى عليه الهي ما جرى القلم

هذا الذي عمه الطيار جعفر والمقتول حمزة ليث حبه قسم

هذا ابن سيدة النسوان فاطمة وابن الوصي الذي في سيفه نغم

ثانيا: شعر الخوارج

يعتبر الخوارج حزب من الاحزاب السياسية وتعني المتمردين، حيث يرى بعض المؤرخين ان تاريخ الخوارج يبدأ من حادثة «التحكيم في حرب صفين» التي قعت بين الامام علي بن ابي طالب ، وجيشه وبين معاوية وجيشه عام 37هـ . ويرى الشهيد المطهري بقوله: اول تيار متمزت ظهر في دنيا الاسلام هو تيار الخوارج .

اما سبب تسميتهم بالخوارج فيرجع الى خروجهم على امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومحاربتهم اياه. وقد بايعوا معاوية بعد شهادة الامام سنة 41هـ .

كما يرى البعض الآخر من المؤرخين ان «الخوارج اقدم الفرق الاسلامية»؛ لذا انقسم الخوارج الى فرق كثيرة اهمها: الازارقة والنجدات والبيهسية والتعالبة والعجارد والاباطية والصفرية والحروية والمحكمة اهل النهروان .

ان المتتبع لتاريخ وتأسيس وظهور الاحزاب والفرق المشهورة في الدنيا يرى ان نشأة الخوارج ما زال يكتنفها الغموض ، وذلك بسبب عدم الامكان من ظهور فرقة بهذه الصورة والحجم دون ان يسبقها تنظيم وتخطيط دقيق واشتهروا بالتشدد وكفروا من يعارضهم او من لم يحارب معهم، وبنفس الوقت لا بد من وجود مبادئ ومصالح مشتركة يلتفتون حولها ويضحون من اجلها.

مكانة الشعر الخارجي في العصر الاموي :

لقد كان الشعر السياسي في العصر الجاهلي مدحا سياسيا او فخرا او هجاء ، اما في هذا العصر فقد تحول الشعر السياسي من مجرد مدح او هجاء او تاييد ديني اسلامي الى شعر سياسي بمعناه الصحيح يدافع عن طائفته التي ينتمي اليها وبكل وسائل الدفاع .

راينا ان الكميت الاسدي - وهو احد شعراء الشيعة - كان يتعصب للكوفة ، واول من جاهر بحب آل البيت في شعره والذي يعتبر وثيقة تاريخية . يقابله في هذا العصر ايضا الشعراء :

-الطرماح بن حكيم (المتوفى سنة 100هـ).

-الضحاك بن قيس (المتوفى سنة 129هـ).

-عمران بن حطان (المتوفى سنة 89هـ).

قطري بن الفجاءة (المتوفى سنة 79هـ)، وهم يمثلون حزب الخوارج الذين كانوا يتعصبون لاهل الشام

عمران بن حطان

كان عمران سني المذهب ، وانه تزوج من امرأة من الخوارج ينوي ان يعيدها الى مذهب اهل السنة حيث هي اثرت عليه واتبع مذهبها (مذهب الخوارج) حيث كان خطيبا وشاعرا، وقد مدح عبد الرحمن بن ملجم عندما قام الاخير بضربه لامير المؤمنين في محرابه بالكوفة حيث قال :

يا ضربة من كريم* اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لافكر فيه ثم احسبه اوفى البرية عند الله ميزانا

فاجابه القاضي ابو الطيب طاهر بن عبدالله الشافعي :

اني لابرا مما انت قائله عن ابن ملجم المعلن بهتانا
يا ضربة من شقي ما اراد بها الا ليهدم للاسلام اركاننا
اني لاذكره يوما فالعنه دنيا والعن عمراننا وخطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله اسرارا واعلاننا
فانتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهانا وتبياننا

مات ابن حطان سنة 89هـ (38) ، وقيل: عام 84هـ

ثالثا: شعر الفتوحات:

شعر الفتوح هو كل شعر ارتبط بتلك الفترة المتمثلة في فتح المسلمين لمختلف الأقطار العربية بغية نشر الإسلام . وتميز شعر الفتوحات بظهور موضوعات جديدة فيه، منها :

أ- الحنين إلى الوطن:

فالشاعر المجاهد خرج من موطنه في جزيرة العرب، إلى بلاد بعيدة في بلاد فارس أو الروم أو غيرها، وفي أثناء رحلة جهاده يشعر بالحنين إلى وطنه، فيعبر عن هذا الحنين في شعره على نحو نجد عند أحدهم إذ يقول:

أكرّر طرفي نحو نجدٍ وإنني برغمي وإن لم يدرك الطرف أنظرُ
حنيناً إلى أرضي كأنّ ترابها إذا أمطرت عودٌ ومسكٌ وعنبُ
بلادي كأنّ الأقبان بروضة ونور الأقبان وشي بُردٍ محببُ

ومن هذه الموضوعات أيضاً :

ب- تشوق آباء الجنود إلى رؤية أبنائهم: ومن ذلك مثلاً: قول المخبل السعدي بعد أن تطوّع ولده شيبان في جيش سعد بن أبي وقاص المتوجّه إلى بلاد فارس:

أيملكني شيبان في كل ليلة لقلب من خوف الفراق وجيبُ
ويخبرني شيبان أن لم يعفني تعق إذا فارقتني وتجبوب

-ومن ذلك أيضاً: قول أمية بن الأسكر يشكو شوقه وشوق زوجه إلى ابنيهما كلاب، الذي خرج غازياً في سبيل الله:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن حفظ الكتابا
إذا هتفت حمامة بطن وج على بيضاتها نكرا كلابا
وإنك والتماس الأجر بعدي كباغي الماء يتبع السرابا
تركت أباك مَرعشة يداه وأمك ما تُسيع لها شرابا

ومن الموضوعات التي نتجت عن شعر الفتوحات أيضاً :

ج- وصف المشاهد الجديدة التي رآها الشعراء في البلاد المفتوحة: ومن هذه المشاهد: مناظر الحدائق، البرك والقصور والكنائس والقلاع .

وغيرها ومن موضوعات شعر الفتوح أيضاً :

د- شعر الشكوى: الذي صاغه الشعراء عندما رأوا الولاة في البلاد البعيدة عن مركز الدولة لا يسيرون في حكم الناس على النهج الإسلامي الصحيح، ويستأثرون دونهم بالغانم وبالأموال.

ومن موضوعات هذا الشعر أيضاً :

هـ رثاء الشهداء الذين قُتلوا في معارك الفتوح:

2- السمات الفنية في شعر الفتوحات:

وقد غلبت على شعر الفتوح سمات فنية وخصائص، منها :

-إنه كان في أغلبه شعر مقطوعات قصيرة، وإن أثر الإسلام فيه واضح جداً باستخدام الألفاظ القرآنية والمصطلحات الإسلامية .

-وأنه تغلب عليه روح البديهة والارتجال، بسبب الظروف التي قيل فيها؛ فلم يكن عند الشعراء حينئذ وقت للتجويد وترديد النظر وتحسين الصنعة.

رابعاً: شعر السجون:

تعددت أغراض الشعر العربي بتعدد وجوه الحياة وتجاربها. والسجن هو أحد المواضيع التي عالجها الشعراء وعبروا من خلالها عما يعتمل في أعماقهم من مشاعر وألم والسجين يتأمل واقعه ويرتد إلى أعماق نفسه ويحتاجه والخواطر وهو يعاني الأسر الضاغط على نفسه وجسده في آن واحد.

ما أكثر الشعراء الذين حُبسوا! وما أكثر الأشعار التي قيلت في السجون! فبددت بنور توهجها ظلام السجون الدامس، وتنسجت قوافي تلك الأشعار نساءً الحرية، وخرجت من غياهب السجون ودياجيرها، لتصبح تاجاً مرصعاً على هامة الخلود، وقلادة حرة في صدر الزمان.

ونحن عندما نتحدث عن الشعراء وقصائدهم التي دبجوها في غياهب السجون، لا بد أن نتذكر جميعاً قصيدة أبي فراس الحمداني الرائعة، التي قالها عندما كان أسيراً، وسمع حمامة تنوح على شجرة عالية بقربه، فأراد منها أن تشاركه في أحزانه، وتحمل عنه بعض الهموم، فقال يخاطبها، وهو في سجنه:

أقولُ وقد ناحت بقربي حمامة
أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمَ
أجارتنا، ما أنصف الدهرُ بيننا
تعالَى تزيّ روحاً لديّ ضعيفةً
أضحكُ مأسوراً وتبكي طليقةً؟
لقد كنتُ أولى منك بالدمعِ مقلّةً
أيا جارتا، هل بات حالكِ حالِي؟
على غصنِ نائي المسافةِ عالِ
تعالَى أقاسمُكِ الهمومِ تعالَى
تردّدُ في جسمِ يعذبُ بالِ
ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالِ؟
ولكنّ دمعي في الحوادثِ غالِ

قد أورد البغدادي في خزانته أبيات شعر لجعفر بن عُبلة الحارثي قالها في سجنه، وأوردها أبو تمام في أول الحماسة، وهي في غاية الروعة:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ
أَلَمْتُ فَحَيْتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَعْتُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَحَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ
وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدْهِبُهَا وَعَيْدُكُمْ
وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ
جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ
إِلَيَّ، وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
بِشَيْءٍ، وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ
كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ

أسجَنٌ وَقَيْدٌ وَاغْتِرَابٌ وَعَبْرَةٌ
وإن امرأ تبقى موثيقٌ عهده،
وفقدُ حبيبٍ؟ إن ذاك عظيمُ
على كلِّ هذا، إنه لكرِيمُ

وأما ابنُ زيدون فإنه عندما كان في نكبته، وأودع في السجن، أتى بصورٍ بديعة، فهو لا يرى في نفسه عندما سُجِنَ سوى قمرٍ قد أصابه الخسوفُ، أو شمسٍ قد أَلَمَّ بها الكسوفُ، وهو نجم إلا أنه في الأرض لا في السماء، يقول:

هل الرِّياحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةُ
إن طال في السِّجْنِ إيداعي فلا عجبُ
أم الكسوفُ لغيرِ الشمسِ والقمرِ؟
قد يودعُ الجفنُ حدَّ الصارمِ الذِّكْرِ

كم من أبياتٍ أخرجت صاحبها من السجن! وما ذلك إلا لرقتها وعضوبتها، فترى القوافي فيها تبكي، ودموع سامعها تهمي، وقلبه يذوب ليناً وعطفاً، ومعلومةً تلك الأبيات التي جعلت الشاعر الحطيئة يخرج من سجنه، والتي قالها لسيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما أودعه في السجن:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرخ؟ زغب الحواصل لا ماءً ولا شجرُ؟
ألقت كاسبهم في قعر مظلمة فاعفر، عليك سلامٌ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقِ إليك مقاليد النهي البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الإثرُ
فامنن على صبية في الرمل مسكنهم بين الأباطح يغشاهم بها القدرُ
أهلي فداؤك، كم بيني وبينهم من عرض داوية يعمى بها الخبر!

فبكى عمر رضي الله عنه، وأخرجه من السجن، ثم دعاه فهدده بقطع لسانه إن عاد يهجو أحداً.
خامساً: رثاء المدن: إحدى موضوعات الشعر العربي، ظهر في الدولة العباسية ولكنه لم يكن قوياً في تلك الفترة.

رثاء المدن في المشرق: عرف المشرق قدرا من هذا الرثاء شعراً، عندما تعرضت عاصمة الخلافة العباسية للتدمير والخراب خلال الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون. فنهبت بغداد وهتكت أعراض أهلها واقتحمت دورهم، ووجد السفلة والأوباش مناحاً صالحاً ليعيثوا فساداً ودماراً. وقد عبر الشاعر أبو يعقوب إسحاق الخريمي، وهو شاعر شامل الذكر، عن هذه النكبة في مرثيته لبغداد فقال:

يا بؤس بغداد دار مملكة دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقبها ————— لما أحاطت بها كبائرها
رق بها الدين واستخف بذي ال فضل وعز الرجال فاجرها
وصار رب الجيران فاسقهم وابتز أمن الدروب شاطرها
يحرق هذا وذا يهدمهم ————— ويشتفي بالنهب داعرها
والكرخ أسواقها معظلة ————— يستن شذابها وعائرها

رثاء المدن في الأندلس .

كان هذا الغرض في الأندلس من أهم الأغراض الشعرية، إذ كان مواكباً لحركة الإيقاع السياسي راصداً لأحداثه مستبطناً دواخله ومقومًا لاتجاهاته.

وكان محوره الأول يدور حول سلبيات المجتمع الأندلسي بسبب ما انغمس فيه الناس من حياة اللهو والترف والمجون وانصراف عن الجهاد. وأن الأمر لن يستقيم إلا برفع علم الجهاد تحت راية لا إله إلا الله. ومن هنا فالصوت الشعري لرثاء المدن في الأندلس يخالف الأصوات الشعرية الأندلسية الأخرى التي ألّفها أهل الأندلس في الموشحات ووصف الطبيعة والغزل وبقية الأغراض الأخرى. ويلفت النظر أن عدداً من قصائد رثاء المدن في الأندلس لشعراء مجهولين؛ ويُفسر ذلك إما بخشيتهم من السلطان القائم بسبب تقديمهم للأوضاع السياسية وإما أن عنايتهم بالحس الجماعي واستثارتهم كانت أكثر من عنايتهم بذواتهم الشاعرة.

يقوم هذا الرثاء على مقارنة بين الماضي والحاضر؛ ماضي الإسلام في مجده وعزه، وحاضره في ذله وهوانه. فالمساجد غدت كنائس وبيعاً للنصارى وصوت النواقيس أضحى يجلجل بدلا من الأذان، والدويلات المسلمة تستعين بالنصارى في تدعيم حكمها. وتمتلئ كل هذه النصوص بشعور ديني عميق يطفح بالحسرة والندم.

كان سقوط مدينة طليطلة في أواخر القرن الخامس الهجري بداية المأساة؛ فهي أول بلد إسلامي يدخله الفرنجة وكان ذلك مصاباً جلاً هزّ النفوس هزاً عميقاً. يقول شاعر مجهول يرثي طليطلة في قصيدة مطلعها:

لثلك كيف تبتسم الثغور سروراً بعدما سببت ثغور
طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

ومن أهم شعراء رثاء المدن في العصر الأندلس أبو البقاء الرندي .

من قصيدة رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
وهذه الدار لا تبقى على أحد
يمزق الدهر حتمًا كل سابغةٍ
فلا يغر بطيب العيش إنسان
من سره زمن ساءته أزمانٌ
ولا يدوم على حال لها شأنٌ
إذا نبت مشرفيات وخرسان